فوائد لغوية

Notes lexicographiques.

هل كلمة « موسيقي » عريقة في اليونانية ؟

Le mot "Musique" est-il essentiellement grec?

ان سألت علماء اللغة ، من عرب وغربيين ، عن اصل كلمة موسيقي ، اتفق جميعهم على جواب واحد : «انها يونانية او اغريقية محضة . لاشبهة في ذلك » .

على ان لي خاطرا عن لي قبل نحو ٢٥ سنة ولابد من بسط مقدمة له هنا :

في اوائل شهر نيسان من سنة ١٩٠٢ ذهبت لاتعهد بعض القرى النبيثة في شمالي بغداد ، فزرت بهرزا (وزان قنفذ) والحويذر (كانها مصغر هذر) وبعقوبا وحديث (مصغرة) وهبهب (وزان زبرج) . وبينما كنت في السمر في ليلة في بعقوبا عند صديق لي ، سمعنا تغريد هزار حسن الصوت ، فاردت ان اعرف اسمه عند اهل بعقوبا ، فسألت الصديق عنه

فقال: هذا المزقة (ولفظها كخبزة)

ـــ لم اسمع حسنا . ما قلت ؟

ـــ مزقة (ولفظ الكلمة لفظا بينا في مقطعين وتأنٍ في قطعهما)

ـــ مزقة ؟ (بضم الميم وسكون الزاي وفتح القاف ثم هاء)

ـــ نعم مزقة .

ـــ وما معنى هذه الكلمة ؟

ـــ أتسألني هذا السؤال . وانت اخبر مني في هذا الموضوع ؟

ـــ لو كنت اخبر منك لما سألتك ؟

ـــ المزقة مأخوذ من المزق او التمزيق لانه يمزق في اغلب ساعات الليل .

ـــ وهل التمزيق هو بالمعنى الشائع عند عوام بغداد اي الهزء والسخرية ، اي انه يهزأ من الناس ويسخر بهم ؟

— لا لكن بمعنى الغناء والتغريد

— اني لا اعلم لفظة بالعربية تفيد هذا المعنى . فهل اهل بعقوبا يعرفون هذه الالفاظ بهذه المعاني التي تذكرها ؟

— اني نجدي الاصل . واتيت هنا للتجارة . ولا اعلم ما يسمي البعقوبيون هذا الطائر كما لا ادري أيسمون المزقة بهذا اللفظ او بلفظ آخر .

ثم لاحظت ان صاحبي ضاق ذرعا من اسئلتي والحاحي في الاستفسار ، فطوينا بساط هذا الحديث ، وانتقلنا الى موضوع آخر بعد ان علقت في مذكرتي ما سمعته .

وفي اليوم الثاني سألت بعض الاهالي عما يعرفونه من امر هذا الطويئر ؟ فقالوا : اسمه عندنا « بلبل هزار ، او هزار » لكننا لانعرف المزقة بهذا المعنى كما لانعرف لـ «مزق» سوى معنى واحد وهو قطع وشقق وخرق اوبماية قارب هذا المؤدى .

ولما عدت الى بغداد اخذت ابحث عن كلمة « مزقة » في لسان العرب فوجدته يقول : « طائر وليس بثبت» ونقرت عنها في تاج العروس فالفيت فيه هذه العبارة « المزقة بالضم طائر صغير وليس بثبت » الخ . اما سائر المعاجم اللغوية فلم تزد شيئا على هذا القدر .

واما فعل «مزق» المجرد فلم اجد له في ديوان معنى يدل على الغناء بل وجدت المزيد فيه هذا المعنى . قال في لسان العرب في مادة : م ز ق : « قال ابن بري : وحكى المفضل الضبي عن احمد اللغوي : ان المزق العبدي سمي بذلك لقوله :

فمن مبلغ النعمان ان ابن اخته على العين يعتاد الصفا ويمزق

ومعنى يمزق : يغني ، قال وهذا يقوي قول الجوهري في كسر الزاي في المعزق إلا ان المعروف في هذا البيت « يمرق » بالراء والتمريق بالراء : الغناء ، فلا حجة فيه على هذا لان الزاي فيه تصحيف » انتهى بحرفه .

فمن هذا الكلام نستنتج ان النجدي محق في ماقال : اي ان مزق عند العرب بمعنى غرد وغنى . ولاجرم ان الفعل مشتق من اسم الطائر المذكور اي انهم عنوا بمزق : غنى : لانه من عادة المزقة الغناء والتغريد . وهل من يشك في ان

مزق المزيد هو من اصل ثلاثي مجرد لم يذكره اللغويون لانه مات ؟ كما لا نرتاب في ان غنى المجرد مات بخلاف غنى المزيد فهو مشهور المعنى . واشتق السلف معنى مزق من المزقة كما اشتقوا « العندلة » من العندليل او العندليب ، قال في اللسان : «العندليل: طائر يصوت الوانا ، والبلبل يعندل اي يصوت وعندل العندليب : اذا صوت ، عندلة » اه

وعليه انا نرى ان مرق بالراء تصحيف مزق بالزاي وليس العكس كما ذهب اليه علماؤنا الاقدمون لان ليس لمادة مرق بالراء معنى يثبت له الغناء بخلاف مزق بالزاي فان اشتقاقه من المزقة الطائر المغرد اي الهزار او العندليب هو امر لا ينكر . فقال اجدادنا « مزق » بالزاي كما يقول الافرنج اليوم Musiquer هذا فضلا عن ان المزقة تقارب في مادتها مادة الزقزقة .

ومن غريب ما يجب اثباته ان عوام العراق (لاحظ قولي : عوام العراق ، اذن لا خواصهم) يسمون الموسيقي : مزيقة (وزان حقيقة) والحرف الذي يلي الميم هو زاي لا سين ؛ فهم اقرب الناس الى السلف البعيد واضع اللفظ من الخواص البعيدين عنهم والقريبين من الافرنج وهم يجمعونها على مزائق كحقيقة وحقائق فهي عندهم اسم مصدر مثل نصيحة ونصائح .

وان سألت اليونانيين او الاغريق : من اين اتيتم بكلمة « موسيقي » ؟ اجابك لغويوهم العال هي من Mousa وباللاتينية Musa وهي معبودات العلوم الفتانة وهن تسع وكن يرأسن تلك العلوم والفنون ولاسيما الفصاحة والشعر . وان الحفت في السؤال وقلت لهم : ومن اين جاءتكم كلمة «موزا» المذكورة وقفوا بين يديك مكتفي الايدي واجبين او قالوا انها مشتقة من مادة Man او Men ومعناها فكر وعلم . قلنا : وهذه المادة ايضا بهذا المعنى تدعيها لنا وهي من « مأن » (المهموز العين) اي علم وفكر (لسان العرب)

ولهذا نقول انكم يا ابناء الغرب اخذتم كلمتكم من اجدادنا حينما كان سلفكم يساكن سلفنا متجاورين متحابين لان وضع الالفاظ الثنائية المقطع هو من خواص اللغات السامية ولاسيما من مزايا اللغة العربية واغلب الالفاظ

اليونانية الوحيدة الهجاء او الثنائيته من اصل عربي ولنا ادلة على هذا الرأي وشواهد تسندهُ .

اما المولدون من اجدادنا فانهم فعلوا ما يفعل اليوم بعض معاصرينا من العوام اي انهم يتلقون من الافرنج الفاظا متفرنجة وهي في الاصل عربية . مثل كلمة مخزن فان الافرنج نطقوا بها مغزن او مكازن اي Magasin واليوم يستعيدونها بصورة « مغازة » جاهلين ان هذا الحرف عربي النجار والمحتد وليس للافرنجية فيه حظ ، وهناك مفردات كثيرة كلها من هذا القبيل .

فعندي انه خير لنا أن نقول : مزق عوض دق على آلة موسيقي او ضرب بآلة موسيقي او عزف على آلة غناء اوغنى اوغيرها . وخير لنا ان نقول «مزيقة» من ان نقول «موسيقي» فتلك من لساننا وهذه من محرف كلامنا . ويحق لنا ان نسمي المعبودات المعروفات بالموزات Les Muses ممرقات اومزقات اي بالراء اوبالزاي بدون فرق او ان نبقيها على حالتها اي الموزات ، من باب تغيير اللفظ لاحداث تغيير في المعنى

وهنا لابد من ان نبحث عن نوع الغناء الذي خصه السلف باسم التمزيق او التمريق وهو المرق ايضا واصح منه المزق (وان لم يذكره اللغويون)

قال في لسان العرب : التمريق : الغناء . وقيل هو رفع الصوت به . قال :

ذهبت معد بالعلا ونهشل من بين تالي شعره وممرق

والمرق بالسكون (اي بسكون الثاني) : غناء كالماء والسفلة . وهو اسم (١) والمرق [كمفحم] ايضا من الغناء : الذي تغثيه السفله وكالماء . ويقال للمغني نفسه : المرق [كمحدث] وقد مرق يمرق تمريقا : اذا غنى وحكى ابن الاعرابي : مزق بالغناء . وانشد :

(١) الذي عندنا ان المرق ليس اسم مصدر لمزق المضاعف بل هو مصدر لمرق الثلاثي للمات الذي لابد من احيائه وبعثه اما ان للتفعيل اسم مصدر على فعل للمفتوح الاول فلم نجد له شواهد . ولاريب في ان اللغويين ذهبوا الى هذا القول لانهم لم يقفوا على فعله الثلاثي على ما نقلوه عن شعراء عهدهم . والاقمن الامور المعقولة ان كل فعل مزيد فيه منقول عن مثله في المادة من الثلاثي الحروف والا ماوردت الزيادة اذ لا تمكن هذه الزيادة وهي من الفروع حيث ليست اصول

افي كل عام انت مهدي قصيدة يمرق مذعور بها فالنهابل
فان كنت فاتتك العلا يا ابن ديسق فدعها ولكن لا تفتك الاسافل

قال ابن بري : قال ابن خالويه : ليس احد فسر التمريق إلّا ابو عمرو الزاهد قال : هو غناء السفلة والساسة . والنصب : غناء الركبان : وفي الحديث ذكر الممرق هو المغني » اه كلام ابن مكرم

وقد اوردنا كل هذا الكلام ليعلم منه ان المراد بالتمريق او المزق غناء الاماء والسفلة واغلب هؤلاء الناس كانوا من غير العرب . لانهم كانوا يؤتى بالاماء من الديار المجاورة لديارهم . كما ان السفلة قوم يطرأون من بلد الى بلد المتنقلين في كل مصر وصقع ، ولهذا كانوا يتغنون باغاني الاجانب الذين كانوا يسمون هذا الغناء « المزق » (بالزاي) اي Musique لا المرق او التمريق . كما سرى الوهم الى الكثيرين . اذن كان المزق ما يسميه اليوم المحدثون من الافرنج Musique profane وقد يكون في اغلب الاحيان « مخرجا » اي تغني به جماعة ، وكل واحد يذهب في غنائه مذهب صوت خاص به ومن مجموع هذه الاصوات يتقوم غناء لذيذ . اي ان هذا « المزق او المرق المجنس او المخرج » هو المعروف عند الفرنسيين باسم Morceau à plusieurs parties قال الزمخشري في اساسه : « مرقت السفلة والاماء تمريقا اذا غنت . وفلان ممرق وغناء ممرق كانه المخرج من جملة الحان المغنين . قال :

من نوحها طورا ومن تمريقها نقيقة الضالق من تطليقها ...

ولعل معترضا يقول : ان ورود المرق او المزق على السنة الاماء او السفلة دليل واضح على انه غير خاص بالعرب ، ولا سيما من بعد ان اطلعنا على ان النصب او الحداء او غيرهما خاص بهم . اما المزق فآت من غير بلادهم . وناقلوها هم هؤلاء الاماء والسفلة وفي ذلك من وضوح نسبه الى الاعاجم ما لا يحتاج الى دليل آخر بشهادة السلف انفسهم .

قلنا : اننا لا ننكر دخول المزق في ديار الناطقين بالضاد من بلاد اليونان او الناطقين بالرومية ، انما نقول ان لفظة « المزق » من اصل عربي واغل في القدم فاحتفظ به الاجانب . والمعاد هذا الغناء المخرج الى واضعي الحرف نفسه حرفوه